

العقبات الإستمولوجية في الإعلام

د ابراهيم رزوق *

وئام حبيب ضويه **

(تاريخ الإيداع 7 / 3 / 2018. قبل للنشر في 25 / 6 / 2018)

□ ملخص □

ظهرت الاستمولوجيا كعلم حديث في بداية القرن العشرين ، سيما بعد زلزلة العلوم الفيزيائية والكيميائية الأساسية بدافع من النظريات الثورية كالنسبية والارتياح والكم وغيرها، ليتساءل العلماء جميعاً ماذا بعد؟ امتدت الاستمولوجيا كعلم نقد العلم إلى كافة العلوم (الفيزياء، الرياضيات ، المنطق، التاريخ، علم المناهج ،علم النفس والإعلام).....الخ حيث بدأت بتناول هذه العلوم بالنقد الواحد تلو الآخر، وأصبحت هذه العلوم مباحث أساسية وهامة للاستمولوجيا بما فيها علم الإعلام وهو ضالتنا في هذه المقالة. الذي يعرف بأنه عملية بث المعلومات (المعارف، الأحداث، القيم الروحية، الثقافية، الاجتماعية المختلفة....) عن طريق وسائل تقنية، على أعداد كبيرة من الجماهير، والإعلام بهذا المعنى تواصل مع الجماهير، وهو التعبير الموضوعي عن عقلية المجتمع وثقافته وروحه، التي تشكل الأساس المنطقي لهذا المجتمع. فالإعلام بعد التطور التكنولوجي المتسارع في بداية القرن العشرين يمكن اعتباره علماً كبقية العلوم، من خلال نظرياته الخاصة والعامة، التي تعتبر نظريات علمية متمثلة بأدوات القياس والمناهج العلمية وغيرها . لذلك يتناول هذا البحث علاقة الإعلام بالاستمولوجيا، واشتراكهما في تحليل العملية المعرفية وصناعة المحتوى الإعلامي، على اعتبار أن الاستمولوجيا هي نشاط من مستوى أعلى موضوعه العلم نفسه، وهي تفكير في العلم تأتي ما وراء العلم أي بعد العمل العلمي ولكنها تتبع من داخله. وكما أسلفنا الإعلام علم جديد، والقائم على هذا العلم والمشتغل به هو الإعلامي الذي يتعامل وعلى مدار الساعة مع المعلومات سيما الجديدة منها. هذه الرسالة الإعلامية أو المحتوى الإعلامي، التي يتم صناعتها من قبل هذا الإعلامي المختص، تتسم بأنها عملية معرفية ذهنية تستحق التوقف عندها سيما وأنها تتطابق مع التفكير العلمي الذي عنيت الاستمولوجيا بدراسة نقدية له وتحليله واكتشاف قطائعه والحديث عن عقباته. ليكون هدف هذا البحث التدليل على العقبات المعرفية التي تخص علم الإعلام ، ومن ثم تجاوز العوائق المعرفية التي قال بها باشلار والتي يعاني منها كل مشتغل في المعرفة الإنسانية عامة، ومن ثم الفكر العلمي الإعلامي خاصة، والتعرف على قطائعه المعرفية القائمة على التفكير العلمي في العملية الإعلامية من أجل بلوغ المرحلة العلمية وتجاوز المرحلة اللاعلمية.

الكلمات المفتاحية: العقبات-وسائل الإعلام-الإعلام-الاستمولوجيا-تجوهر-اتصال.

* أستاذ - قسم الفلسفة - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة تشرين - اللاذقية - سورية.
** طالبة ماجستير - قسم الفلسفة - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة تشرين - اللاذقية - سورية.

Epistemological Obstacles in the media

Dr. Ibraheem Razzouk*
Wiam Habib Doya**

(Received 7 / 3 / 2018. Accepted 25 / 6 / 2018)

□ ABSTRACT □

Epistemology as a modern science that emerged at the beginning of the 20th century, , Especially after the earthquake of the basic physical and chemical sciences motivated by revolutionary theories such as relativism, suspicion, quantum and other where she said the epistemology of all science ... What next?

this science extended to all sciences (physics, mathematics, logic, history, curriculum, psychology, media ... etc) in a horizontal way, where these sciences have become a basic and important discipline of epistemology, including the science of the media, which is defined as the transmission of information (knowledge, events, cultural spiritual values) by means of technical ways to many and wide numbers of the masses. The media in this sense communicates with the masses, which is the objective expression of the mentality , culture and spirit of society, which constitute the logical basis for this community.

The media after the rapid technological development at the beginning of the twentieth century can be considered as science as the rest of science, which are linked with each other, through its general and specific theories, representing by measuring tools and scientific methods.

Here lies the importance of this research, which deals with the relationship between the media and epistemology, and their participation in the analysis of the cognitive process and the production of the media content, since the epistemology is a higher level activity, the subject of it is the science itself, it is thinking about science.

As we said above the media is a new science, and who controls this science and the operator of it is the journalist who deals all time with new information, as the media message or media content, is manufactured by a specialist. This intellectual cognitive process deserves to be stopped, especially as it corresponds to the scientific thinking that meant the epistemology of a critical study and analysis and discover its holdings and talk about its obstacles.

This research also aims to overcome the cognitive obstacles that Bashaalar said, which suffers from every worker in the general knowledge of humanity, the scientific and media thinking in particular, and the scientific thinking of those which is based on the media process . In order to reach the scientific stage and beyond the non-scientific stage.

Keywords : Epistemology- Obstacles- mass media- media. Substantialisation- Communication

*Professor in the philosophy Department - Faculty of Arts and Humanities science - Tishreen University- Lattakia- Syria.

**Master student in philosophy Department - Faculty of Arts and Humanities science - Tishreen University- Lattakia- Syria.

مقدمة:

باتت الدراسات الإعلامية المعاصرة تعتبر الإعلام علماً متخصصاً له نظرياته الخاصة التي يعتمد عليها، ولا يمكن القيام بأي نشاط إعلامي فاعل من قبل أي باحث في هذا المجال بدون قواعد علمية يستند إليها. وبات من الخطأ ممارسته بشكل عشوائي وارتجالي، فكثيراً ما فشلت قضاياها وأهدافه، لاصطدامه بعوائق معرفية متعددة، التي تحول دون تطور هذا العلم التطور الكافي، وتؤدي به إلى فترات من النكوص، حيث شهد الإعلام ومازال يشهد تطوراً ملحوظاً في استخدام الأساليب والتقنيات العلمية، التي كانت وراء التطور العلمي في مجال تطور وسائل الإعلام، كما شهد تقدماً في المجال المهني، استناداً للأبحاث العلمية التي جرت في مجال الإعلام، في النصف الأول من القرن العشرين، والتي لا تزال مستمرة في التطور في العالم كله (1)

واستناداً إلى ما تقدم فإن الإعلام أصبح علماً يفرض نفسه على مجريات حياتنا اليومية في كافة المجالات، وبما أن الاستمولوجيا كعلم مهمتها الدراسات النقدية للعلوم بما فيها الإعلام، التي تقوم بنقد مناهج وأسس ومبادئ ونظريات هذا العلم، لإظهار عقباته الاستمولوجية المتنوعة والتعرف على قطائعه المعرفية للتعرف على علاقة هذه العقبات بتطور العلم وانعكاس ذلك على تطور هذا العلم، ومن ثم انعكاسه فكرياً على المجتمع.

أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية هذا البحث الذي يتناول علاقة الإعلام بالاستمولوجيا، واشتراكهما في تحليل العملية المعرفية وصناعة المحتوى الإعلامي، على اعتبار أن الاستمولوجيا هي نشاط من مستوى أعلى موضوعه العلم نفسه، فهي تفكير في العلم، أو يمكننا القول أنها ما وراء العلم . كما ويهدف هذا البحث إلى تجاوز العوائق المعرفية التي قال بها باشلار والتي يعاني منها كل مشتغل في المعرفة الإنسانية عامة، والفكر العلمي الإعلامي خاصة، وعلى التفكير العلمي للقائم على العملية الإعلامية، وإلى تنبيه القائم على العملية الإعلامية، أو الإعلامي المختص، بهذه العوائق التي تعيق وتعطل عمله العلمي.

منهجية البحث:

أما المناهج المتبعة في هذا البحث فهي المنهج الوصفي المقارن عندما قارنا بين العقبات المعرفية العلمية عامة ومدى انطباقها على العمل الإعلامي باعتباره عمل علمي خالص، وكذلك المنهج التاريخي النقدي باستعراض نظريات الإعلام وما قدمته وما قصرت عن تقديمه من أجل الدفع بعملية صناعة المحتوى الإعلامي وجعله عملاً علمياً، أما استخدامنا للمنهج الاستنتاجي ف جاء نتيجة لاستعراضنا العقبات الاستمولوجية في الإعلام من أجل الوصول إلى نتائج علمية موضوعية واقعية قابلة للتطبيق تمكنا من تجاوز تلك العقبات وإمكانية العمل على صناعة محتوى إعلامي بشكل علمي وموضوعي .

معنى الإعلام وأهميته:

يقول الباحث عصام سليمان " شيوخ مصطلح الإعلام في الوطن العربي، يحدد استعماله كمرادف لمصطلح الإعلام الجماهيري، رغم أن الإعلام علماً هو وظيفة من وظائف الاتصال الجماهيري، وإذا نظرنا إلى الأمر من منطلق

¹ - عبد الرزاق، انتصار إبراهيم، وآخرون، الإعلام الجديد، منشورات جامعة بغداد، بغداد، 2011، ص18.

القاعدة التي تنص، على أن المعلومات هي المكون الإدراكي للسلوك الإنساني، فإن الإعلام يصبح مكوناً من مكونات الفكر، ومن ثم السلوك. (2)

أما عبد المجيد شكري فيقول " كلمة إعلام تعني أساسا الإخبار، وتقديم المعلومات أي أن أعلم، ويتضح فيها اتجاه واحد من مرسل، ووجود رسالة إعلامية (أخبار معلومات أفكار) إلى المستقبل. والمقصود أن المفهوم الصحيح لمصطلح الإعلام (information) ومصطلح اتصال (Communication) ويكون استخدام مصطلح إعلام بمعنى الإخبار وهو بذلك وظيفة من وظائف الاتصال. أو يكون اتصال ونقول إعلام باعتباره وظيفة من وظائف الاتصال" (3).

تعرف الدكتورة فريال مهنا الإعلام الجماهيري بأنه: "عبارة عن منظومة اجتماعية مأسسة تقوم بنشاط مفتاحي يكمن في إنتاج وإعادة إنتاج وتوزيع المعرفة التي تستطيع أن تجعلنا قادرين على إعطاء معنى لهذا العالم، وأن تشكل إدراكنا له وأن تسهم في معرفتنا للماضي، وفي إعطاء استمرارية لفهمنا للحاضر" (4). هذا يعني ان الإعلام الجماهيري اليوم يحتل موقعاً مركزياً، من شأنه أن يسهم في تحديد مصير الجنس البشري. وتحاول أن تقدم تعاريف للإعلام في اللغات الأخرى محاولة تقريب مفهوم الاعلام من معناه العام، فنقول

" دراسات إعلامية غربية تستخدم مصطلحات متباينة للتدليل على (اتصال) و(إعلام) المدرسة الفرنسية في وسائل ووسائط الإعلام المتعددة لديها تطلق كلمة إعلام بمعنى (Information) لتعطي معنى المضمون ومعنى الطريقة التي ينقل خلالها المضمون، وهذا ما يظهر واضحاً في المضمون الإعلامي الفرنسي. أما علماء الاجتماع الأمريكيون فقد طرحوا مركبا من كلمة انكليزية (Mass) وأخرى لاتينية (Media) فأصبحت (Mass Media) تعبر عن الإعلام الجماهيري ، أما في أوروبا فقد استغنت عن الشق الأمريكي واحتفظت بالشق اللاتيني لتصبح (I Media) للتعبير عن الإعلام الجماهيري، أما فيما يتعلق بالاتصال الجماهيري فإن الغرب يستخدم التعبير (Mass Communication) ". (5)

يؤكد الدكتور محمد عبد الملك التمازج بين الإعلام والاتصال ، هذا التمازج الذي يعود إلى تطور مفهوم ووظائف الإعلام المعاصرة فيقول: "الإعلام هو كل تعبير عن مصدر استخدم رموزاً أو وسيلة وأحداث ليشارك طرف آخر، والإعلام بمفهومه الحديث يقابل (communication) أي المعلومات المبلغة أو الاتصال".

ويعرف الدكتور إبراهيم إمام الإعلام وفق مصطلح (communication) بأنها "مشتقة من الأصل (communicare) أي يشيع ويذيع. ويعيش أساتذة الإعلام في العالم العربي في حيرة في استخدام كلمة إعلام أو كلمة اتصال وهذا يعود للصراع بين المفهوم القديم للإعلام والمفهوم الجديد". (6)

بينما أوهارا روبرت يقدم الإعلام فقط كوسيلة إخبارية أو وسيلة لإيصال المعلومات وإشاعتها بين الناس يقول الإعلام هو بث رسائل واقعية وخيالية موحدة على أعداد كبيرة من الناس، يختلفون فيما بينهم من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية وينتشر في مناطق متفرقة (7)

2 - سليمان، عصام، الإعلام والمجتمع دراسات في الإعلام الأردني والعربي والدولي، وزارة الثقافة الأردنية، 2003، عمان، ص11.

3 - شكري، عبد المجيد، الإعلام المحلي في ضوء متغيرات العصر، دار الفكر، القاهرة، ط1، 2007، ص22.

4 - مهنا، فريال، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، دار الفكر، دمشق، 2002، ط1، ص28-29.

5 - المرجع نفسه، ص30.

6 - المتوكل، محمد عبد الملك، مدخل إلى علم الإعلام والرأي، منشورات جامعة صنعاء، ط2، 2005، ص15.

7 - المرجع السابق، ص35.

ويحاول الدكتور مصطفى المصمودي إن يبرز دور الإعلام المعاصر وأهميته فيقول: الإعلام هو الذي يخلق وعياً لدى المجتمع بمعوقات التقدم فيه، وهو الذي يشرح ويشرح بالتغيير، وهو الذي يروج لأفكار الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية.....⁽⁸⁾

الدكتور عبد الرحمن محمد العيسوي يجعل الاتصال جزءاً من عملية الإعلام فيقول "من الموضوعات الرئيسية في قضية الإعلام الاتصال أو تبادل الآراء والأفكار والمعلومات ونقلها (communication) أو إيصال المعلومات والأخبار إلى الغير"⁽⁹⁾

وتقدم نسمة البطريق تعريف آخر للإعلام تبرز فيه دور التكنولوجيا في جعل وسائل الإعلام المركز في نشر المعلومات وتعتبر مركز الإنتاج الثقافي الذي يعكس التفوق الحضاري في عصرنا فنقول "الإعلام هو مصدر ثقافي ومعرفي متعدد الاتجاهات والأهداف، من خلال ما يحتويه من معلومات وقضايا وحقائق ومعارف، قاطعة المسافات والقارات في فترة وجيزة لا تتعدى الدقائق والثواني، والثورة الإعلامية الحديثة ترتبط أشد الارتباط بالجوانب الثقافية والفكرية التي بدونها تصبح التكنولوجيا صماء تعرقل النمو الفكري للإنسان."⁽¹⁰⁾

أما في القاموس الإنكليزي فتأتي كلمة إعلام مرادفة لكلمة (media) أي وسائل الإعلام وهي (mass media) وسائل الإعلام الجماهير⁽¹¹⁾

ويبقى الإعلام كتعريف يندرج تحت معنى الاتصال (communication) والذي هو عمل من أعمال نقل المعاني من شخص إلى آخر ومن مجموعة إلى أخرى، بتواصل لفظي عن طريق اللغة والتي هي مجموعة من القواعد التي تشمل أصوات الرموز الحرفية. أو غير لفظية وتكون بنقل المعلومات في شكل تمثيلات غير لغوية مثل (الإيماءات، لغة الجسد، تعبيرات الوجه، اللمس، الاتصال بالعين) حتى الكلام يحوي عناصر غير لفظية مثل (الإيقاع، التجويد، وتيرة، الاجهاد) أما في الكتابة فيشمل (نمط الكتابة اليدوية، الترتيب المكاني للكلمات، استخدام الرموز لنقل العاطفة).⁽¹²⁾

الدكتورة جيهان رشتي تؤكد وتقول في كتاب الأسس العلمية لنظريات الإعلام:

"الأبحاث الصحفية مقصورة على وسيلة واحدة، في حين أن أبحاث الإعلام أو الاتصال تغطي مجالات الاتصال كلها . فالأسلوب العلمي الحديث، ربط جميع أساليب الاتصال وجعل منها وحدة واحدة، تتلاقى في أصولها، ومعظم فروعها "¹³

تقدم التعريفات السابقة محاولة للفصل بين عملية الإعلام وعملية الاتصال، ولكنها جميعها تخلص إلى أن الإعلام جزء من عملية الاتصال ويعود الاختلاف بين المصطلحين إلى اختلافات في الترجمات التي قدمها مجموعة من الباحثين.

ولكن يبقى المصطلحان يشيران إلى الوسيلة التي بها ننقل المحتوى الإعلامي سواء عن طريق وسائل الإعلام أو وسائل الاتصال التي هي في كثير من الأحيان وسائل اتصال وإعلام في آن واحد. حيث يبقى الإعلام بمعنى الإخبار أي إيصال المعلومات (information) للآخرين عن طريق عملية الاتصال (communication).⁽¹⁴⁾

⁸ - المصمودي، مصطفى، النظام الإعلامي الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 94، 1985، ص6.

⁹ - العيسوي، محمد، عبد الرحمن، علم النفس الإعلامي، دار الراتب الجامعية، 1984، الإسكندرية، مصر، 90-91.

¹⁰ - البطريق، أحمد نسمة، الإعلام والمجتمع في عصر العولمة دراسة في المنصل الاجتماعي، دار غريب، القاهرة، 2004، ص9.

¹¹ - WWW.dectionary.com/brows/Media.29/1/2018.

¹² - https://en.m.Wikipedia.org/wikipedia.communication.2/2/2018

¹³ رشتي، جيهان، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر، القاهرة، 1978، ص13.

الإعلام من وجهة نظر تاريخية

الإستمولوجيا كما يقول جان دومبريه تقدم العون الأساسي في التعريف الحقيقي لنشاط تاريخ العلم وتاريخ العلم بدوره ليس مجرد ذاكرة العلم بل هو مختره الإستمولوجي. يضيف اميري لاكاتوش فلسفة العلم من دون تاريخه خواء، وتاريخ العلم من دون فلسفته عماء. فالإستمولوجيا كدراسة نقدية تعنى بالبحث في العلم كموضوع لها تجعل من دراسة تاريخ العلم إستمولوجيا خطوتها الأولى للعودة للأسس والمفاهيم والقوانين في هذا العلم إلى منشأها، الأمر الذي يفيد في معرفة لحظات تكون عقباتها ، ولحظات ظهور قطائعها المعرفية.

ومن هنا وعند الحديث عن تاريخ الإعلام لا بد أن نتحدث عن تاريخ الإنسانية وتاريخ نشاطها المعرفي ككل، فتبقى عملية تبادل المعلومات هي العملية الأقدم منذ الخلية الأولى وحتى اليوم.

الحقبة الأولى للإعلام بدأت بالإشارات والرموز والحركات التي كانت مفهومة للجميع أي أنها مرحلة الفهم والمشاركة في نظام الإشارات والرموز التي صنعتها المجموعة. ومنها قدرة الإنسان على استخدام أصوات محددة يمكن إنتاجها فيزيائيا كالصراخ والمهمة إضافة إلى لغة الجسد، وهي أنظمة تعتمد على التقطيع المنفصل تخلق مشكلات متعلقة بالذاكرة القريبة. لم يعرف الإنسان حينها التفكير الداخلي أو المجرد أو التصنيف والاستنتاج أو الاستقراء فتطوير ثقافة معقدة على حد تعبير الدكتور فريل مهنا لم يكن ليتحقق في حقبة تركزت على هذه الأدوات الاتصالية الحياة الجماعية.

ثم حقق الإنسان قفزة نوعية عندما دخل في حقبة الكلمات واللغة " ليظهر المجتمع القادر على الاتصال الكلامي الذي تمكن من أن يخترع وينقل للأجيال اللاحقة التقنيات مثل حفظ الطعام والحماية من البرد الشديد، الأمر الي أدى إلى تغيرات عميقة على الأفراد والمجتمعات سمحت للإنسان في تحقيق قفزات نوعية كان من المستحيل تحقيقها لولا اللغة الكلامية".⁽¹⁵⁾

بل اعتمدت الطرق الإعلامية على قرع الطبول، أول عن طريق الدخان لإيصال الرسائل والإعلام بأمر هام فكانت الإذاعات الأولى.⁽¹⁶⁾

الحقبة اللاحقة حقبة الصور الرسومية لتسجيل الأحداث، والتي شكلت تقدما بالنسبة للذاكرة الخيالية، وكان جوهر الموضوع اختراع قواعد معينة وجعلها اصطلاحية قابلة لفك الرموز وفهمها. ثم مرحلة الكتابة التي بدأت بربط الرمز الاصطلاحي بصوت معين بدلا من ربطه بمفهوم والذي مكن من استخدام عدد قليل من الرموز التي تمثل أصواتا لتركيب الكلمات لتنتقل لمرحلة استخدام عدد قليل من الرموز التي تمثل أصواتا.

فجاءت مرحلة الكتابة على الألواح الحجرية والآجرية، مثل الكتابة الهيروغليفية 1500 قبل الميلاد أو على ورق البردي 1000 قبل الميلاد في مصر.⁽¹⁷⁾

لتبدأ مرحلة صحف الحائط عند الرومان، بعده الوثائق على الكتل الخشبية، ثم الطباعة بالألواح الخشبية عند الفينيقيين، ثم جاء اختراع الورق وكان كتاب (الماس سوترا) الذي طبع في الصين 868م ، ثم اختراع بي شينج أول حرف من الفخار في النصف الأول من القرن الحادي عشر 1041 في الصين ثم ظهور المطبوعات الشعبية في أوربا

¹⁴ - <http://WWW.Skillsyouneed.com.15/1/2017>

¹⁵ - المرجع السابق، ص18.

¹⁶ - المرجع السابق، ص20.

¹⁷ - <http://www.j387mediahistory.weebly.com/mediahistory> 2018/1/29

1400 والتي هي عبارة عن صور مطبوعة ، ذات جودة فنية منخفضة .⁽¹⁸⁾ حتى اختراع الطباعة بالأحرف المعدنية المتحركة على يد يوحنا جوتنبرج 1450، والتي شكلت قفزة نوعية في تاريخ وسائل الاتصال والإعلام، بدأت معها مرحلة الصحافة والصحف 1700 وتوالى بعدها التطورات التكنولوجية والاختراعات فمن اختراع التلغراف 1837 على يد صموئيل مورس والذي شكل ثورة في عالم الاتصال والإعلام ثم لحقه اختراع التليفون على يد ألكسندر جراهام بيل (Alexander Graham Bell) عام 1875، الذي ربط القارات بعضها ببعض سلكياً ولا سلكياً . ثم اختراع الفونوغراف (Phonograph) على يد توماس اديسون (Thomas Edison). الراديو عام 1896 على يد ماركوني وشهدت فترة الحرب العالمية الأولى تقدماً كبيراً في استخدام الإذاعة فالتلفزيون 1929، أول حاسوب رقمي 1944، أول النشرات الإخبارية عام 1974، التلفزيون الأبيض والأسود جزء من المنزل 1950.⁽¹⁹⁾ ثم ظهور شبكة الانترنت فوسائل التواصل الاجتماعي الحالية.

يفيد العرض التاريخي لأي علم، في تقديم نظرة شمولية له، ومن ثم بناء وجهة نظر خاصة يجدها الباحث، ويعتمدها طيلة بحثه، فقراءة تاريخية للإعلام تجعل الباحث يدرك أهمية الإعلام وصلته الوثيقة في حياتنا منذ القدم، فجميع أفعالنا وأقوالنا ومشاعرنا إنما هي رسائل إعلامية تحوي رموز بحاجة إلى فكها، فما دموم أي شخص إلا رسالة للإعلام بالحنن، وما صوت الضحكات العالية، أو حتى حديث بنبرة خاصة إلا رسائل إعلامية بمحتوى إعلامي خاص.

نظريات الإعلام:

عملية المعرفة بصفتها عملية إنسانية، ترتبط بالوعي الإنساني وبآلية التفكير، وعلى الرغم من أن عملية المعرفة بشكل عام هي نتاج مجموع أفراد المجتمع، إلا أن تطوير واستيعاب وهضم المعرفة يتطلب عملية ذهنية لمفكر واحد. علم النفس يؤكد أن التفكير الخاص بالفرد (الأكاديمي) دماغ أحدهم هو من يصنع الأفكار التي يتشاركها مع الآخرين بالنقاش والتحليل وتبادل المعلومات والأكاديمي (Academic) هو من يستطيع تحطيم أطر فكرية قديمة أو رؤية القديم المؤلف في ضوء جديد، فلا تقتصر مساهمته في إيجاد أجوبة جديدة، بل في توفير طرق جديدة للكشف أكثر وضوحاً ودقة من سواها عند معالجة مشكلة معينة. فليس من مهمة الأكاديمي أن يقدم إجابة نهائية، بل انه يقدم تجاوز للوضع الفكري الراهن في مجال ما، تؤدي إلى قيادة البشرية إلى وضع أكثر غنى، وأقرب إلى الحقيقة من الوضع السابق.⁽²⁰⁾

من هنا جاء دور الأكاديمي المختص الذي يطرح أفكاره في النظريات الإعلامية شتى، فمن المختص والمفكر و الأكاديمي و الفيلسوف.... الخ يأخذ الآخرون الأفكار التي يتم تطبيقها في المجتمع. باختصار إن مطبخ الأفكار أو الفكر هو دماغ الإنسان المفكر والمختص. والإعلام ككل هو عملية معرفية، من خلال تحويل المعلومات إلى رسالة، وعن طريق نظريات الإعلام التي يضعها هذا المختص أو الأكاديمي يحصل الإعلامي على ثقافته ومهاراته الإعلامية والتي تجعل صانع الرسالة الإعلامية محترف و أكاديمي عند نقل رسالته الإعلامية .

ظهور الدراسات الإعلامية جاء حتماً بعد الحرب العالمية الأولى 1914 ، فالحرب لفتت أنظار الباحثين إلى أبعاد جديدة للدعاية، وازداد الاهتمام بوسائل الاتصال والتأثير في الرأي العام، وشهدت الفترة بين 1920 حتى 1930 بداية تطبيق مناهج البحث التجريبية الحديثة على دراسة الإعلام.

20-(En. M.wikipedia.org

21-http://en.m.wikipedia.org/wikipedia.mass media 5/1/2018

²⁰ - مخول، مالك سليمان، علم نفس الطفولة والمراهقة، منشورات جامعة دمشق، ط 8، 2002-2003، ص 336.

هناك أربعة نظريات تحدد النظام الإعلامي وهي (النظرية السلطوية - النظرية الليبرالية، نظرية المسؤولية الاجتماعية-النظرية الاشتراكية) ومع تطور وسائل الإعلام واهتمام العلماء والباحثين، في جمع وتنظيم المعلومات والبيانات المستسفاة من هذا التطور أوجدوا نماذج محتملة لتفسير عملية الاتصال والتي أثمرت حركة من الدراسات التي أدت في القرن التاسع عشر لظهور نظريات الإعلام والتي هي (الامبريقية، النقدية، الحتمية التكنولوجية، ترتيب الأولويات، دوامة الصمت، مولى الثقافية، فجوة المعرفة) (21).

أنواع نظريات الاتصال:

- 1- نظرية المجتمع الجماهيري: أول نظريات الاتصال، ظهرت في القرن العشرين، حيث تغيرت فيه بنية المجتمع ليصبح أكثر تعقيدا، ويتسم فيه الفرد بالعزلة، وانعدام المشاعر الشخصية في التفاعل مع الآخرين.
- 2- النظرية الامبريقية: بقيادة لازرسفيلد تتميز هذه النظرية كما تشير الدكتوراة مكاي "المنهج الوصفي والكمي والوظيفي، وتهتم بالجانب الإداري لعملية الاتصال مساعدة رجال الأعمال على فرض نفوذهم، وإهمال المحيط الثقافي والتاريخي". (22). أي أن النظرية توحى بأن لازرسفيلد أدرك منذ البداية أن طرق قياس الجماهير تعطي دلالات عن الجماهير كما تعطي دلالات عن الوسيلة الإعلامية أيضاً. فكان لازرسفيلد عدة كتب تعددت موضوعاتها بين التصويت، البطالة، الاتصال، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية. (23)
- 3- نظرية التأثير المباشر: سادة خلال العقود الأولى من القرن العشرين، للوسائل الاتصال الجماهيري، تأثير مباشر وفعال على الأفراد، كما أن الأفراد سلبيين في تعرضهم للوسائل، ولديهم استعداد لتقبل الأفكار بمجرد وصولها إليهم. (24).
- 4- نظرية الاستخدامات والإشباع: تهتم بدراسة الاتصال الجماهيري دراسة وظيفية منظمة، وترى أن الجماهير فعالة في انتقاء الرسائل ومضمونها، ولذلك أطلق عليها نظرية الاستعمال والرضى (25)
- 5- نظرية انتشار الابتكارات: ترى أن الاتصال يتم عبر مراحل، ويؤدي إلى المزيد من الاحتمالات المعقدة في تدفق المعلومات التي تمر عبر عدة أفراد، وأن قنوات الاتصال تصبح أكثر فعالية، في زيادة المعرفة حول المبتكرات (26)
- 6- نظرية الإنماء الثقافي: ظهرت في السبعينات في أميركيا لدراسة أثر وسائل الإعلام، ترى هذه النظرية، أن المداومة على مشاهدة التلفاز تجعل، المشاهد يعتقد أن ما يراه صورة حقيقة (27)
- 7- نظرية التبعية: الجماهير تعتمد على المعلومات المقدمة من وسائل الإعلام، لتحقيق أهداف وحاجات معينة، لذلك سوف تأثر هذه الوسائل بالقدر الذي يعتمدون به على تلك المعلومات، وتركز هذه النظرية على العلاقات بين النظم المعلومات الصغرى والمتوسطة والكبيرة ومكوناتها.

21 - عبد الحميد، محمد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، عالم الكتب، ط1، 2000، ص18.

22 - مكاي، حسن، ليلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2009، ص129.

23 - المرجع السابق، ص36.

24 - الهيتي، هادي نعمان، الاتصال الجماهيري المنظور الجديد، دار الشؤون الثقافية، ط1، 2006، ص78.

25 - المرجع السابق، ص156.

26 - المرجع السابق، ص254.

27 - المرجع السابق، ص299.

8-نظرية الحتمية التكنولوجية: ترجع الى جهود العالمان (مارشال ماكلوهان، وهاورد أنيس) اللذان ركزا في تحليل عملية الاتصال وفقا للتكنولوجيا المستعمل في كل مرحلة تاريخية حيث عد ماكلوهان أن الوسيلة هي الرسالة، والذي يجعل الفرق بين الناس هي وسائل الاتصال السائدة في عصر ما وليس مضمونها (28)

9-نظرية ترتيب الأولويات: تعود هذه النظرية إلى والترليمان في كتابه الرأي العام، وتقول إن وسائل الإعلام تساهم في تشكيل الصور الذهنية لدى الجمهور، وتكوين الرأي لعام من خلال القضايا التي تهم المجتمع. (29)

10-نظرية دوامة الصمت: صاحبة هذه النظرية الباحثة الألمانية إليزابيث نويل نيومان -1974 وتقول "إن وسائل الإعلام حين تتبنى آراء معينة خلال فترة من الزمن فإن معظم الأفراد سوف يتحركون، في الاتجاه التي تدعّمه وسائل الإعلام. لتشكل بذلك الرأي العام" (30)

11-نظرية مولس الثقافية: ترى هذه النظرية أن وسائل الإعلام تنقل الثقافة من المبدعين-العلماء-الأدباء-الفنانين الذين يخترعون الأفكار الجديدة، لتنتقل لاحقا إلى الجماهير، لتلعب بذلك وسائل الاتصال دورا كبيرا في الثقافات الحديثة (31)

12-نظرية فجوة المعرفة: وضعها تيتسينيور تقوم هذه النظرية على فكرة التباين بين الأفراد والجماعات في المعرفة وأثر التعرض لوسائل الاتصال الجماهيري في زيادة خلق هذا التباين، وتؤكد هذه النظرية أن انسياب المعلومات في النظام الاجتماعي تزيد من النظام الاجتماعي والاقتصادي الأعلى إلى الفئات ذات المستوى الأقل (32)

13-النظرية النقدية: بقيادة مدرسة فرانكفورت التي كان من روادها (هوركايمر، ادرنو، ماركيز، فروم) والتي تعطي الأولويات للمحيط الثقافي والاجتماعي الذي تتم فيه عملية الاتصال، وتفرع منها عدة اتجاهات منها الاتجاه الاقتصادي السياسي، والاتجاه الشمولي والاتجاه الثقافي النقدي، والاتجاه الامبريالي الثقافي (33)

الابستمولوجيا معنية كدراسة تحليلية نفسية لآليات الفكر والعمليات الذهنية وعوائق هذا الفكر أي خلف النظريات والأبحاث والدراسات، وعند دراسة نظريات الإعلام على تشعبها نجد أن الذين عملوا بالإعلام، أغفلوا العملية الذهنية لصناعة المحتوى الإعلامي، المتخصص الإعلامي عندما يريد أن يكتب (لصحف، ليحرر، ليعد) أي عندما يبدأ بتحرير وصناعة أي رسالة إعلامية، يقوم بعملية ذهنية تتبع آليات للوصول إلى أفكاره ونتائج أبحاثه. أخذين بعين الاعتبار أن العلوم الإنسانية هي مجرد اجتهادات قابلة للتعديل والتبديل والإضافة والإلغاء وهي ليست أكثر من وجهات النظر (34)

الابستمولوجيا تبحث في هذه العملية الذهنية بينما نلاحظ في نظريات الإعلام كافة أنها تبحث وتتنظر في الآليات والوسائل والقوالب (كالقالب الاشتراكي في النظرية الشيوعية مثلاً) بشكل تحليل أو استقراء أو تنميط وما إلى ذلك. وتذكر الدكتورة جيهان أحمد رشتي في كتابها (الأسس العلمية لنظريات الإعلام) أن البحوث الإعلامية الأولى بدأت وصفية اعتمد فيها الباحثون على الحدس والتخمين أي كانت بحوث وصفية، وفي الخمسينات اعتمدت هذه البحوث على مناهج العلوم السلوكية ، وكان الهدف من البحث تكوين نظريات على أساس علمي وتجريبي ، وحتى

28 - صالح خليل أبو أصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، دار المجدلوي، ط2، 2006، ص5.

29 - مرجع سابق، ص190.

30 - المرجع السابق، ص279.

31 - دليلو فضيل، الاتصال، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص39.

32 - حسن كامل، محمد، مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، الدار العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص283.

33 - المرجع نفسه، ص27.

34 - عبد الملك المتوكّل، محمد، مدخل إلى علم الإعلام والرأي، منشورات جامعة صنعاء، ط2، 2005، ص6.

كتاب نظريات الإعلام الأربع (1956) صنف فيها هذا الكتاب وسائل الإعلام في مختلف الأنظمة السياسية.⁽³⁵⁾ أي أن هذه النظريات بينما تراعي آليات وطرائق و غيره لا تراعي العملية المعرفية التي يتعرض لها الفكر الإنساني عند تحويل المعلومات إلى رسائل إعلامية، أي الفكر في صناعة الرسالة الإعلامية والمحتوى الإعلامي ، ونظريات الإعلام تبحث في الخبرات الجديدة وفي نتائج تراكم الخبرات الإعلامية ، فنجدها متعلقة بقفزات ومراحل مثل دوامة الصمت عام 1974 ونظرية مولس وفجوة المعرفة. ولكنها تبقى كما تؤكد الدكتورة فريال مهنا دراسات تخرج من واقع مجتمعاتهم ومن الضروري الإفادة منها بشكل خلاق ومبتكر ، والعمل على استنباط منها مايتلائم مع الظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية والنفسية للمجتمعات⁽³⁶⁾ ، وتبقى كل هذه النظريات مؤسسة بشكل مباشر وغير مباشر على أساس مفاهيم الفرد والمجتمع ، وتكونت متأثرة بنماذج فلسفية واجتماعية و إثنوبولوجية بالإضافة إلى مشاركة علماء الاقتصاد والتاريخ والسياسة وعلماء القانون ، وكثير من هذه النظريات تعتبر الآن بالية ، ولكنها تثير الاهتمام من الناحية التاريخية ، ولكنها تساعدنا على فهم النظريات البدائية.⁽³⁷⁾

تقول الدكتورة جهان رشتي " تعقد الظواهر الإعلامية عقبة منعت دراسة العديد من مشاكل الاتصال، والاتصال عملية يدخل في تحديد نتائج اعتبارات سيكولوجية واجتماعية وسياسية كثيرة، وعندما ندرس عملية الاتصال وتأثيرها، لا نستطيع أن نتجاهل ما يحدث داخل الفرد، والتفاعل بين الأفراد والجماعات ".⁽³⁸⁾

عندما تستذكر ميثاق العمل الصحفي من أخلاق وحيادية وتحقيق الخير للبشر والمسؤولية الاجتماعية، ومفاتيح الدوافع الإيجابية. يكون كل ذلك وغيره هدف الإعلام، ولكن تحقيق مثل هذه الأهداف لن تحصل بسهولة وقد تتعرض لمعيقات كثيرة تدخل ضمنها ما يطلق عليه نظريات الإعلام السياسية من ليبرالية وتسلطية واشتراكية ومسؤولية اجتماعية أو مشاكل أخلاقية مباشرة في نصوصهم هل يعد أمراً أخلاقياً عمل إعلان مطبوع للسجائر أو صناعة فيلم مليء بالعنف المجاني³⁹

نظريات الإعلام قد تكون خريطة طريق أو ثقافة عامة أو محددات رئيسية أو آليات أو وسائل أو قوالب أو مهارات تمكن الباحث الإعلامي من ممارسة عمله الإعلامي بشكل أكاديمي يرضي مؤسسته الإعلامية (له ولمؤسسته الإعلامية ولمجتمعه) أي أنها لا تعدو عن كونها تقنيات ومهارات، ولكن الإستمولوجيا تبحث خلف هذه التقنيات تبحث في الآليات الذهنية اللاواعية المشكلة لعملية المعرفة.

باعقادي قد لا تكون التسمية (نظريات) دقيقة فبعضها طرائق مستحدثة أو آليات جديدة أو مهارات أو فنون كالمدراس الفنية التشكيلية مثل الانطباعية والتكعيبية والسريالية وغيرها .

فهي أحيانا أقرب إلى التكنيك الفني الذي يستخدمه الفنان التشكيلي أو المدرسة الفنية كنظرية الإنماء الثقافي مثلا ونظرية التبعية ونظرية دوامة الصمت....

العوائق الإستمولوجية للإعلام:

العوائق أو العقبات الإستمولوجية التي قال بها باشلار، هي عوائق تكمن في عملية المعرفة ذاتها والتي هي مراحل من النكوص والتباطؤ والاضطراب تظهر عبر مسيرة تكون الفكر العلمي في المرحلة الماقبل علمية بنوع من

35 - رشتي، أحمد جيهان، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي، مصر، 1978، ص41.

36 - مهنا، فريال، تقنيات الإقناع في الإعلام الجماهيري، دار طلاس، دمشق، 1989، ط1، ص12.

37 - يضير، ملفين ل، وآخرون، نظريات وسائل الإعلام، ت: كمال عبد الرؤوف، دار الدولية للتوزيع والنشر، ط1، 1993، ص213-214.

38 - مرجع سابق، ص32.

39 بيرغر، آرثر أسا، وسائل الإعلام والمجتمع، وجهة نظر نقدية، ت: صالح خليل أبو إصبع سلسلة عالم المعرفة، ال عدد386،

الكويت، 2012، ص11

الضرورة الوظيفية، فالمعرفة العلمية هي التي تنتج بذاتها عوائقها الإستمولوجية. فالعائق الإستمولوجي بهذا المعنى يغدو عرض اضطراب في العمل العلمي، بل إنها خطوات وميكانزمات علمية طبيعية، وإن هذه الميكانزمات الطبيعية تخفي العوائق الإستمولوجية. فالعائق الإستمولوجي يقع على مستوى إشكالية العصر ومستوى المعرفة العلمية في كل فترة تاريخية بأكملها (40) فلا بد على حسب تعبير باشلار من طرح مسألة المعرفة العلمية بعبارات العقبات (41)، التي يصطدم بها عبر مسيرته، التي تساعده على فحص ذاته وتحليل مكوناته بغاية التحلي نهائياً عن مسبقاته وأوهامه لتحرير هذا الفكر من تاريخه الماقبل علمي (42). عن طريق التحليل النفسي للعمل العلمي. أي أن على الإستمولوجي أن يكون المحلل النفسي لعمل الباحث، أي أن عليه افتراض جانب باطني دينامي في العمل العلمي يؤثر على هذا العمل، الذي يؤدي إلى وجود مكبوتات عقلية لدى الباحث العلمي، على الإستمولوجي أن يحللها ويكتشفها من أجل فهم هذه المعرفة في تطورها ونكوصها وتوقفها، وهي عند فرويد عقد نفسية وعند باشلار عقبات إستمولوجية. (43)

وهذا ينطبق على الإعلام فالإعلام جزء من عملية المعرفة من حيث أنه علم وفرع من فروع الفكر العلمي ، فلإعلام عقباته ومراحل نكوص واضطراب تحول دون تقدمه وتشكل عائقاً أمام تطور نظرياته وتطبيقاتها ، فكل معرفة تقيم بناءاتها ، بحيث تحجب ما لم يتم التفكير فيه ، ذلك أن كل معرفة أسرة ، أو معرفة أساء عصر ما تفسيرها تظل عقبة أو فكرة مضادة. (44) فالتحليل النفسي للمعرفة العلمية يهدف للكشف عن المكبوتات العقلية ، للبحث عن مدى أثرها على التفكير العلمي، والعقبات الإستمولوجية للإعلام بوجه خاص والفكر العلمي بوجه عام ، تشكل الجانب اللاشعوري من عملية المعرفة والتي لا يمكن كبتها ونسيانها ، فكما أن اللاشعور في الطب النفسي له آثاره الواضحة على الشخصية، كذلك اللاشعور العلمي يظهر ويؤثر في مسيرة كل علم ، إما بالنكوص كما ذكرنا والاضطرابات أو بجعل هذا العلم مكتفياً بالعيش في مرحلته الماقبل علمية.

وجد باشلار أن الطريق الوحيد لكشف عقبات الفكر العلمي هو بنقد وتحليل هذا العلم ونظرياته في مراحلها التاريخية، والتي تكشف عن عوائقه الإستمولوجية والتي تعشش في لاشعوره العلمي. ونحن هنا بصدد محاولة تقديم صورة نقدية للعوائق الإستمولوجية للإعلام من أجل الإضاءة على كل عقبة عرفها علم الإعلام، بغية الوصول إلى تحليل ذاتي، وكما قلنا العمل العلمي هو الذي يخلق لذاته مظاهر تعطله وتوقفه أو نكوصه. فالمكبوتات العقلية هي ما يدعوه باشلار بالعوائق الإستمولوجية. (45) نستطيع من خلاله، لفت الانتباه إلى مراحل النكوص والاضطراب ، ومعرفة أسبابه ومن ثم العمل على تجاوز هذه العوائق إن أمكن. على اعتبار أنه لا يوجد عمل علمي دون أن تكون هناك عوائق إستمولوجية.

40 - رزوق، إبراهيم، إستمولوجيا العلوم الاجتماعية ومناهجها العلمية، مديرية الكتب والمطبوعات جامعة تشرين، 2005-2006، ص340.

41 - باشلار، غاستون: تكوين العقل العلمي، ت خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1982، ص14.

42 - هشام، محمد، تكوين مفهوم الممارسة الإستمولوجية عند غاستون باشلار، أفريقيا الشرق، المغرب، 2006، ص196.

43 - كركي، علي حسين، الإستمولوجيا في ميدان المعرفة، شبكة المعارف، بيروت، 2010، ص123.

44 - شعبي، عماد، الخيال ونقد العلم عند غاستون باشلار، دار طلاس، دمشق، ط1، 1999، ص274.

45 - المرجع السابق ، ص333.

هذه العوائق المعرفية التي حددها باشلار هي:

1- التجربة الأولى:

وهي الاتصال الأول بالموضوع، وتعد خطوة ضرورية وأساسية في المنهج العلمي، وتعتمد التجربة على المعرفة الأولى لتعقلنها، ففي التجربة الأولى إن لم تعقلن، حضور قوي للاشعور الملاحظ العلمي، (46) فتشكل بذلك عائقا للموضوعية. فكل معرفة علمية تأتي ضدا على التجربة الأولى، ليتم بعدها التميز بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية، فالمعرفة العامة تجعل المسافة قصيرة بين الفكر والواقع، على عكس المعرفة العلمية التي تفصل بينهما بالرجوع المستمر إلى التركيب العقلي. يقول باشلار " ينطلق الإنسان بصفة طبيعية، حين يريد ملاحظة الظواهر الأكثر إثارة، باهتمام ودهشة بكل غرائزه و أهوائه وبكل ذاته، لذلك يجب أن لا ندهش لكون التجربة الأولى خطأ أولا" (47) لذلك على الباحث العلمي أن يكون يقظاً، وأن يتجاوز المبدأ القائل الأولي هو دائما الأساسي، وعليه ليكون عقلائي أن يقطع الصلة مع الأصول والبدائيات المطلقة. (48)

وهي في الإعلام المعلومات المسبقة والتصور الأولي ورأي السياسي أو القائم بالعملية الإعلامية أو صانع العملية الإعلامية، يجب على القائم بصناعة الرسالة الإعلامية أن يتحرر من كافة القيود المسبقة، وأن يكون توجهه ضد الآراء السائدة، ضد الانجذاب الأولي للفكرة السائدة، والذي غالبا ما يكون طبيعيا لدى الإعلامي ولا يعني هذا تجاهل أو تجاوز أو نكران النظرة المسبقة، أو معلومات اللحظة الأولية أو الانطباع المبدئي، أي لا نهمل كل ذلك، ولكن علينا أن ننتبه أن كل ذلك يشكل معوقاً أساسيا هاما وحقيقا قد يحول دون الوصول إلى الموضوعية المطلوبة في صناعة الرسالة الإعلامية سواء أكانت خبرا أو مقالا أو تحقيقا أو عملا دراميا.....الخ .

على سبيل المثال، عندما أكتب عن أحد مؤتمرات جنيف وأنا غير مختص في هذا الموضوع، كل المعلومات التي لدي قبل أن أكتب عن جنيف كل تصوراتي السابقة مع انطباعاتي الأولية، هي أولى العقبات التي أصطدم بها. لذلك على أن أكون حذرا أنتبه أنها عوائق، وبنفس الوقت لا أهملها ولا أهمل المعلومات الأولية، ولكن لا أجعلها تجرّفني كمتلقي أولي.

يقول باشلار " العقلنة تصطدم بالقناعات الأولية وبال الحاجة إلى تعيين مباشر، من أن التجربة الأولى أو المعرفة الأولى لا يمكنها أن تكون صحيحة، لذلك يجب القضاء في الفكر الذي يكون علما على هذه الأوليات، قضاء تفهمه على أنه سيرورة الموضوعية التي يتم فيها تكوين علم ما بتحويل بنيات التفكير فيه، وهكذا فالتجربة الأولى أو المعرفة الأولى لا يمكن أن تكون إلا خطأ أولاً. لأن أمام الظواهر الأكثر أهمية و الأكثر بروزاً يقف العلم الإنساني طبيعيا بكل رغباته وأهوائه وكل نفسيته" (49) .

2- التعميم:

تقول الابستمولوجيا التعميم هو الذي ينقل الفكر من تبدد الوقائع إلى وحدة القوانين التي تفسرها ولها دور دينامي في المعرفة العلمية. ولكنه يصبح عائقا عندما يكون متسرعا سهلا ويكون استجابة لمتعة عقلية، يقول باشلار " هناك

46 - المرجع نفسه، ص334.

47 - المرجع السابق، ص112.

48 - المرجع السابق، ص122.

49 - المرجع السابق، ص197.

متعة عقلية خطيرة في تعميم متسرع وسهل، وعلى التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية، أن يمتحن كل الإغراءات السهلة، وبهذا الشرط سنصل إلى نظرية التجريد العلمي السليم حقا والدينامي حقا⁽⁵⁰⁾ وفي الإعلام نجد تطابقا كاملا، فعندما يتناول الإعلامي مثلا عملية الكتابة عن ثورة ما، فإن تصويره السابق عن الثورات وما كان قد درسه بتحليل ثورات سابقة وكلاسيكية تجعله يميل تلقائيا إلى إسقاط هذه الثورة الجديدة يتناولها على ما سبق وتصوره عن الثورات من حيث البنية والنشأة والتوجه وما إلى ذلك. فقد تكون هذه الظاهرة ليست بثورة ولا تشترك مع الثورات بأي عامل، قد تكون لا تعدو عن كونها ظاهرة جديدة مختلفة كل الاختلاف وكليا. أي أن إهمال الفروق الدقيقة بين الظواهر، والمعرفة التي ينقصها الدقة ليس عمل علميا، بل هي مجرد معرفة عائمة عامة.⁽⁵¹⁾ إن أوضح مثال على ذلك المؤامرة على سورية، حيث دفعت الدول المتآمرة الإرهابيين والعملاء لإحداث فوضى، ظنها بعض الإعلاميين وخاصة ممن يجهلون الواقع السوري، أنها ثورة وذلك عندما استلهموا ما راكموه في مخيلتهم عن الثورات، ليحشروا هذه الفوضى الإرهابية والباسها لباس الثورة رغم عنها. كمثال يوضح مفهوم التعميم أكثر اعتبر مفهوم التخمر في العصور الوسطى على أنه حركة داخلية تحدث من تلقاء نفسها، بين الأجزاء غير المحسوسة، فينتج عنها توافق جديد وتركيب جديد، إن هذا التعريف عم على دراسة ظواهر أخرى مثل تخثر الدم وعملية الهضم، إن مثل هذه التعميمات الزائفة تحول دون تقدم العلم وتطوره وتعيقه، والتعميم يكون موضوعيا عندما، عندما يكون استجابة لضرورة عقلية علمية، في تفسير الظواهر، بالكشف عن قوانينها، وبذلك لا يكون عائقا أبستمولوجيا.

3-العائق الجوهرى:

التجوهر (Substantialisation) عملية ذهنية يقوم بها الباحث لصياغة جوهر لجميع المواضيع التي يتناولها، أي البحث عما خفي في الظواهر باعتباره جوهرها وعلى أنها حتمية لابد منها. والذي لا يشكل عائقا أمام تكوين الفكر العلمي وحسب، بل تشكل عائقا أمام التقدم اللاحق لهذا الفكر، حيث يميل التفكير الماقبل علمي إلى التركيز على موضوع معين، دون الاهتمام بترتيب الأدوار التجريبية، ليكتفوا بالقول إنه في الجوهر يوجد كل الخصائص المتنوعة للظاهرة. فتصبح أسطورة الباطن أي حقيقة الأشياء في باطنها. "التفكير العلمي لا يمكن أن يكتفي بربط العناصر الوصفية لظاهرة بجوهر، دون أي تحديد دقيق ومفصل للعلاقات مع الموضوعات الأخرى..... إن الجواب الجوهرى يخنق كل الأسئلة"⁽⁵²⁾ يلعب الخيال في هذا العائق دورا كبيرا، حيث يعارض الخيال معطيات التجربة، بافتراض وجود جوهر أو باطن للظاهرة المدروسة، مثل الصاق صفة دائمة بالأشياء الماء جوهر سائل، الأرض جوهر ملتهب، والتجوهر هو اجبار المريخ أن يكون جوهره كجوه الأرض، لكن علمياً المريخ كوكب بارد. لذلك لابد من كبح تأثير خيالنا، وأن ننظر للظاهرة في علاقاتها المتبادلة والمنظمة.

يظهر العائق الجوهرى جليا في عملية الصناعة الإعلامية، وذلك عندما يبحث المحلل الإعلامي عن جوهر ما يلصقه بشخصيات عدة، فهذا الشخص يساري، وذلك يميني والأخر منطرف، أي لدى كل إعلامي ميل إلى وضع أي شخص في إطار واحد أو في شخصية ما.

لتكون عملية التجوهر هنا هي إسباغ البعد اليساري على شخصية اليساري في كافة تصرفاته عند عملية التحليل السياسي، كذلك إجبار الشخص الذي نقوم بدراسته إعلاميا كزعيم أو سياسي لم نعرف توجهه، على أن يدخل في تصنيفات يسارية ليبرالية والصاقها به.

⁵⁰ - المرجع السابق، ص25.

⁵¹ - وقيدي محمد، فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، دار الطليعة، بيروت، 1980، ص116.

⁵² - مرجع سابق، ص202.

يقول باشلار: "العائق الجوهري، ككل العوائق الإستمولوجية متعدد الأشكال " ويضرب باشلار مثال يوضح فيه معنى التجوهر، مثل تجوهر النار وجعلها جوهر الأشياء فهي توجد في كل شيء، ومثل هذا القول يعيق المعرفة العلمية عن دراسة حقيقة الظاهرة. (53)

4-عائق الألفاظ التي تعبر عن ظواهر غير التي وضعت من أجلها بشكل غير موضوعي:

لغة العلم لغة متجددة دائماً والعلم صوغ مستمر للمفاهيم والمصطلحات إلى حد تغدو معه لغة العلم الجديدة مختلفة عن لغة العلم القديمة. مثال لفظة إسفنجة أو إسفنجي وخاصة التشرب، حيث استخدم هذا المفهوم للتعبير عن ظواهر أخرى في العلم كالهواء مثلا الذي يبدو شبيها بالأجسام القابلة للتشرب، والواقع حين تنتج لنا لفظة كهذه للتعبير عن ظواهر غير التي عبرت عنها في الأصل، نظن أن هذا التعبير تفسيراً، فيكون ذلك مظهراً لامتداد لا موضوعي لهذه اللفظة. وحتى وظيفتها يمكن أن تأخذ شكل امتداد لا موضوعي لكل الظواهر التي تتلقى تياراً كهربائياً، مثال الحديد الذي يتلقى التيار الكهربائي وينقله، فتقع مماثله بالإسفنجة. إن ميزة التفكير العلمي الموضوعية التي لا يكتسبها إلا بالابتعاد عن المماثلات الزائفة والاستقرارات النفعية. (54)

في الإعلام كفكر علمي أيضاً، يظهر هذا العائق الذي يحول دون تحقيق الإعلام كعلم موضوعيته ويحبسه في مرحلته الماقبل علمية، يظهر هذا العائق جلياً في المصطلحات التي يستخدمها القائم بالإعلام مثال مصطلح الحرب الباردة، الذي ظهر للتعبير عن الحرب التي قامت بين الولايات المتحدة الأمريكية و الاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية، ضمن ظروفه الموضوعية ليعبر عن حالة محددة، فنجد بعض الإعلاميين يستخدمون هذا المصطلح للتعبير عن خلاف بسيط ينشأ بين وزيري دولتين صغيرتين قد لا ينطبق عليهما أية سمة أو محدد من محددات الحرب الباردة الواردة.

من وجهة نظر أخرى، نجد أن المتلقي العربي لوسائل الإعلام(الصحف، الإذاعة، التلفزيون) يواجه تحدياً في مجال المصطلحات وتحليل الرموز، ويتمثل أيضاً باستقبال رموز لفظية بالفصيحة أحياناً وبالعامية أحياناً أخرى، والسؤال في هذه الحالة عن أية عامية نتحدث عن العامية المصرية أم السورية أم الأردنية أم التونسية أم السودانية؟ يزيد عدد اللهجات العامية العربية في مجموعها عدد الدول العربية أضعافاً، وذلك أن كل بلد عربي لديه عدد من اللهجات التي تنسب أحياناً للمدن وأخرى للأرياف أو المقاطعات موزعة بين بادية وحضر، يصعب على العربي في كثير من الأحيان فهم العامية الدارجة في بلد آخر فيلجأ إلى الفصحى لمواجهة الموقف. ليكرر السؤال والجملة عدة مرات حتى كأنما يترجم، وهذا إضاعة للجهد والوقت، بالإضافة إلى ما يصاحب ذلك من مشاعر الإحباط القومي. (55)

هناك بعض اللهجات العامية كالمصرية بفضل المسلسلات والأفلام أن تصبح لغة مفهومة عربياً عند نسبة كبيرة من العرب حتى أنهم يفرقوا فيها بين لهجة أهل القاهرة ولهجة أهل الصعيد أو بين لهجة قبلية أو بحرية.

كما ويتوجه الإعلام إلى جمهور واسع تختلف مستويات أفرادها، مما يوقع الإعلام في مأزق المستوى اللغوي الذي تعتمده، فضلاً عن مشاركة أناس في العمل الإعلامي، لا يمتلكون اللغة السليمة الفصيحة فيظهر ما يطلق عليه لغة الإعلام البيضاء.

53 - المرجع نفسه، ص 202).

54 - مرجع سابق، ص 119.

55 - مرجع سابق، ص 317.

5-العائق الإحيائي:

الإحيائية عند باشلار هي " حدس معين عن الحياة "أي أنه فكرة عامة عن الحياة يقوم عليها علم ما، ليضع تفسيرات معينة، ويقدم أجوبة جاهزة، عن أسئلة لا تمت بصلة إلى مجال اهتمامه (56) لتصبح الإحيائية بهذا المعنى امتداد معارف بيولوجية أو فزيولوجية إلى غير ميدانها ، وتصبح عائق عندما تفسر في ضوءها ظواهر أخرى وتجيب عن أسئلة لم تلقى إليها ، ولا تتعلق بميدانها ، فتبعاً لسحر مبدأ الحياة تعتبر الكهرباء أساس الحياة في الكون بأسره. أدى انسياق الفكر وراء هذا المبدأ إلى تعطيل بلوغ معرفة موضوعية بالظواهر الكهربائية. (57)

يظهر هذا العائق جلياً في العمل الإعلامي عندما يتم الحديث في الإعلام عن جيش ما في الحرب العالمية الأولى على سبيل المثال، حيث يتم تشبيه الجيش الألماني بالرجل الألماني، أي أنهم يحاولون تشبيه سلوك هذا الجيش بسلوك شخص، وهذا ينطبق أيضاً عندما يتم الحديث في الإعلام عن الجيش الإغريقي أو الجيش الروماني.

ونجد هذا الأمر ينطبق أيضاً عندما يتم الحديث عن مؤسسة ما، فيتم الحديث أن المؤسسة ضاقت ذرعاً، وتريد أن تتنفس فتوجهت إلى أسواق جديدة. من الملاحظ أن استخدام مثل هذه الطريقة ليمتد التعامل فيها مع مؤسسة ما أو جيش ما أو معركة أو أي مفهوم آخر، يتم التعامل فيها على أن ما نتحدث عنه وكأنه أشبه بكائن حي، وإسقاط البيولوجية على كل حركته كأن نقول البنك الفلاني تعثر وسقط. يتم اعتبار البنك هنا وكأنه كائن حي، وهذا علمياً ليس موضوعي وليس علمي، ويبعدنا عن الدقة ، هذا العائق يحصر الإعلام في حالة لاعلمية ، على الرغم من وجود تشابه ما بين كافة الموجودات ، بسبب وحدة الكون ، إلا أننا في اللغة العلمية والعمل العلمي يجب أن نبتعد عن التتميط ونتوخى المزيد من الدقة والموضوعية ، وعدم الاكتفاء بإسباغ البعد الإحيائي على القضايا الشمولية ، وفي نهاية عمليات التحليل ، لأنها قد تكون في النهاية تخضع لهذا البعد الإحيائي وليس بكافة التفاصيل، حتى أن الحياة نفسها والبيولوجيا في ذاتها لديه الكثير من دقائق الأمور والآليات الفيزيولوجية المختلفة التي قد لا تتشابه بهذه البساطة مع النظريات الحيوية العامة.

مثال عندما نقول تركت الرجل المريض، أي ما بقي من الإمبراطورية العثمانية، أو مثلاً عندما نقول كانت روما متعطشة.

6-العائق الإيديولوجي:

المجتمع لا يؤثر في تطور العلوم إلا بصورة غير مباشرة، بمنح إمكانية التطور عن طريق وسيط معرفي هو الإيديولوجيا. ولكن كيف تكون الإيديولوجيا عائقاً أيستمولجياً أمام تطور المعرفة.

لعل أوضح مثال على هذا هو الحقيقة العلمية دوران الأرض، حيث لعبت الإيديولوجيا القائمة المناهضة للفكر، دور العائق للاعتراف بمثل هذه الحقيقة العلمية، وكذلك التعميم الإيديولوجي الذي لا يقوم على ارتباط موضوعي بالوقائع، ولكنه تعميم يهدف إلى عدم الدقة بكيفية لا واعية التعميم الإيديولوجي يفعل العناصر التي لا تلائم طبيعة التفسير الذي يريد أن يقدمه. (58)

أما في الإعلام فيظهر هذا العائق جلياً في إعلام الدول الاشتراكية، التي تنطلق من أن المبادئ اليسارية هي الحقيقة الثابتة والمرجعية الأساسية لجميع الأفكار، دونما الحاجة إلى ربط ومناقشة الموضوع بشكل منطقي، مع المبادئ

56 - المرجع السابق، ص 204.

57 - مرجع سابق، ص 121.

58 - المرجع السابق، ص 124.

اليسارية. فيقدمها القائم بالعملية الإعلامية، وكأنها حقيقة دامغة، ناسياً أن هناك من لا يؤمن ولا يقتنع بصوابية هذه المبادئ

يعرف أومبرتو إكو⁽⁵⁹⁾ الطرح الأيديولوجي عموماً، بأنه كل موضوع يتم عرضه أو تناوله أو تفسيره من خلال اختيار واحدة من الإمكانيات الاصطفائية الطرفية فقط وتجاهل وجود إمكانات أخرى لمقدمات تناقضيه أو تكاملية ظاهرياً من شأنها أن تقود إلى نتائج متعارضة. إن هذا التجاهل طمس للتناقضية الطبيعية الموجودة في الساحة الدلالية الآتية من المنبع (Continuum) ويميز ايكو بين الإقناعية الإيديولوجيا، فالإقناعية تمارس عملية الإقناع انطلاقاً من أن تلك القيم التفضيلية لا تتحرك في نطاق استيعادية مطلقة كما الإيديولوجيا، بل في نطاق أفضلية تدرجية ونسبية مفتوحة الآفاق. (60)

7-الرأي العام:

العلم يتعارض تعارضاً مطلقاً مع الرأي العام، لأنه مخطأ دائماً من الوجهة الحقوقية، الرأي العام كما يقول باشلار يفكر سينا بل حتى أنه لا يفكر، أي أنه يترجم الحاجات إلى معارف، وإنه إذ يشير إلى الأشياء بجذواها إنما يحظر على نفسه معرفتها. لا نستطيع أن نؤسس شيئاً على الرأي العام، فلا مناص من تقويضه فهو أول عقبة ينبغي تخطيها. (61)

العقل العلمي يمنعنا من تكوين رأي حول قضية لا نفهمها، أو حول قضايا لا نحسن صياغتها، فطرح المسألة هو الذي يعطي للعقل العلمي الحقيقي طابعه. هذا يعني انه إذا ثمة أنه لا توجد مسألة لا يمكن أن يكون هناك معرفة علمية لا شيء ينطلق ببداهة لا شيء معطى كل شيء مبين. (62)

فإذا كم من الأخطاء الجسيمة التي يرتكبها الإعلام، الذي يعتبر أن الرأي العام أساسي وركيزة للعمل الإعلامي، سواء للأخذ به أو تشكيله أو توجيهه. فنجد أن لكل وسيلة إعلامية جمهورها، ولهذا الجمهور آرائه وصفاته وسماته وما إلى ذلك، ونجد أن الخطاب الإعلامي لهذه الوسيلة،

محصوراً ضمن نطاق التوجيه العام لرأي الجمهور، فالعقبة هنا هي محاولة إرضاء الجمهور، وعدم التجرؤ والخروج عن آرائه المتشكلة الغير موضوعية واللاعلمية، فالإعلامي عندما يصطدم بفكرة أو مفهوم مضاد مع يقينية يخطأ هذا المفهوم، يتجاوز به بل ويخفيه خوفاً من إغضاب الرأي العام، فهو يعلم أن أهم طرق استقطاب الجمهور في أي وسيلة إعلامية هو إرضائهم.

8-عادات فكرية كانت مجدية قبل أن تصبح معيقة للبحث العلمي:

الفكرة أو المفهوم لا توجد داخل نظام فكري محدد يمنحها مكانها ومعناها بل ان النظام الذي يحتويها ينتمي الى عصر او فترة تاريخية، فلا معنى لانتزاعها من سياقها والقفز بها عبر القرون والقارات لدمجها في سياق اشكالي غريب عنها، نظرياً وتاريخياً.

تصبح هذه العادات عامل جمود بالنسبة للعقل، تأتي حين يكون العقل محبا لما يؤكد معرفته أكثر مما يناقضها ومحبا للأجوبة أكثر من الأسئلة عندئذ تسود الغريزة المحافظة، ويتوقف التطور الروحاني، لتغدو الفكرة العلمية المألوفة

59 - أومبرتو إكو (1932-2016): فيلسوف وروائي وباحث وأهم النقاد اللادينييين في العالم، عمل محرراً ثقافياً للإذاعة والتلفزيون الفرنسي، وحاضر في جامعة نورينو.

60 - مهنا، فريال، جدلية المضمون والشكل في الخطاب الإعلامي العربي مجلة جامعة دمشق للاداب والعلوم الإنسانية والتربوية المجلد 16، العدد الأول 2000، ص9-10.

61 - مرجع سابق، ص14..

62 - المرجع نفسه 16.

مشحونة بشحنة نفسانية ملموسة تفقد شيئاً فشيئاً اتجاهها التجريدي. فليست المعرفة تخدم المعرفة ألياً، ولا الثقافة تبدو أبسط بقدر ما تكون أكثر انتشاراً. فالإنسان المدفوع بالعقل العلمي يحسن التساؤل والاستجواب بعد ذلك. (63)

هناك الكثير من العادات الفكرية والنزعات التي تجتاحنا، خاصة نحن المجتمع الشرقي المتدين بالتحديد، فالكثير من العادات التي أصبح اليوم لها بعداً روحياً، تستخدم وكأنها حقيقة مثبتة بل وترجع أنواع الفضائل والأخلاق وإلى هذه العادات دون تحليل أو تفكير علمي وتمر ضمن الخطاب الإعلامي دون أن ينتبه أحد إليها.

9- النزوع نحو الوحدة:

عوامل الوحدة ما تزال فاعلة في الفكر الماقبل علمي، ولكن التقدم العلمي أوضح مراحلها من خلال تخليه عن العوامل الفلسفية للتوحيد السهل.

والوحدة تعني: البحث عن البساطة والاقتصاد في المبادئ والمناهج، وحتى الظواهر ذات المعالم المختلفة. نجد الآن أنه من الادعاء المفرط أن يسعى العالم المعاصر إلى الجمع بين الكوسمولوجيا والتبولوجيا. بل إن التوضيح والتصحيح والتنويع هي أنماط الأفكار الناشطة التي تنهز من اليقين والوحدة المراهق الذي يصل إلى صف الفيزياء بمعلومات تجريبية متكونة سابقاً، لا يعود المطلوب منه اكتساب ثقافة تجريبية، إنما المطلوب هو تبديل ثقافة اختباريه وقلب العقبات التي أوجدتها الحياة العادية. أي أنه من الصعب جداً إفهام مبدأ أرخميدس في بساطته الرياضية المدهشة مالم ننتقد أولاً ونفك المنظومة المركبة تركيباً اختلاطياً، والحدوس الأولية، بجراحة فكرية وعاطفية ثم وضع الثقافة العلمية في حال تعبئة دائمة، وإبدالها بالمعرفة المغلقة والجامدة، واكتشاف العقبات المعلوماتية يعني الإسهام في تأسيس مبادئ التحليل النفسي للمعرفة.

يكاد الإعلام أن يكون مثلاً نموذجياً لهذه العقبة بالذات، فلا يكاد يخلو خطاب إعلامي من الوقوع في هذا المطب، بل إنه يطابق المنطق السائد، لدرجة أنه من الصعب الإشارة إلى هذه العناصر على أنها عوائق أو عقبات معرفية.

فمفهوم الوحدة العلمية كعائق، يصبح في الخطاب الإعلامي أسلوباً واضحاً وفصيحاً، يعتد الإعلامي السقوط فيه، دونما وعي ظناً منه أنه يقترب من الوضوح والرصانة والفصاحة.

مثال: الإعلامي عندما يحاول أن يوضح فكرة ما في رسالة إعلامية ما أو في خطاب إعلامي موجه، يستشهد بعدة أمثلة، تزيد من ضبابية الرسالة وتوقعه في لبس أكثر كل من يحاول أن يفهم أو يقرأ بشكل علمي. وهذا ما سنلاحظه في تحليل أي خطاب إعلامي على قناة الجديد مثلاً.

10- عوائق ابستمولوجية تنقلها حالة بعض العلوم من الأكثر تطوراً إلى الأقل تطوراً بواسطة

امتداد المفاهيم:

في الفلسفة يميز أفلاطون بين معرفة عقلية حقيقية هي المثال، ومعرفة غير حقيقية وهي الأشياء المحسوسة. وميز ديكارت بين المعرفة العرضية للحواس عن المعرفة العقلية بجوهر الأشياء كمعرفة حقيقية، كما وميز كانط بين الشيء الممكن معرفته والشيء بذاته ليضع حدود للمعرفة الإنسانية.

يقول باشلار إن أنصار الاستمرارية من الابستمولوجيين، يمدعون عندما يحكمون على العلم المعاصر كنوع من استمرارية الصور والكلمات، فعند تخيل نواة الذرة الذي لا يمكن تخيله، تقترح صور وصياغات لغوية تنتمي بالكامل إلى

العلم النظري، لا يجب أخذ هذه الصياغات حرفياً وإعطائها معنى مباشر، يجب إعادة وضع التعبيرات الجديدة بلا كلل في منظور مستقبلي للنظريات التي تلخصها الصور والصياغات، وهذا يقطع استمرارية التفكير العام والتفكير العلمي. (64)

ان مثل هذه المفاهيم لعبت دور العوائق المعرفية للمعرفة العلمية المعاصرة، اذ جعلوا البحث العلمي عما هو أولي أهم من البحث عن الحقيقة الموضوعية (65). أوضح ما يكون هذا في حالة التحليل السياسي، نجد الباحث الإعلامي يقوم بنقل مفهوم سياسي إلى حادثة عرضية، باستسهال واضح، فالسياسة كعلم لها مفاهيمها وحقائقها المعتمدة والمعترف بها، والتي ترسخت وتراكتت في فترات محددة. هذه المفاهيم تستخدم وتعتمد في الخطاب الإعلامي دونما تركيز وتحليل.

11- المعرفة العامية عقبة أمام المعرفة العلمية:

ليست النظريات العلمية الحديثة استمرار للمعارف العامية، ولا وجود لأصول من المعرفة العلمية هي في المعرفة العامية، ولو كان الأمر صحيحاً لكان الشبه بين المصباح التقليدي والمصباح الكهربائي أمراً ضرورياً. (66)

في الإعلام تظهر هذه العقبة جلية في وظيفة من وظائف الإعلام وهي تنظيم العلاقة بين الإنسان وبين الشرط الإنساني ، يقول كازنوف الطقوس والأساطير كانت تؤدي هذه المهمة في المجتمع التقليدي، أي تقديم حلول لحاجات البشر المتناقضة ، ولتوقعهم لخروجهم من هذا الشرط، ورغبتهم بالانغلاق داخله أما اليوم فإن الإعلام الجماهيري هو الذي يقوم بهذه المهمة ، عبر رسائل ينقلها تحتوي عناصر ملتصقة بالواقع وعناصر ملتصقة بالخيال ، ومنذ اللحظة التي تكون فيها مهمة الإعلام تبديل الواقع يختفي الفرق بين الواقع والخيال، لأن الإعلام سيضطر للهروب من الواقع في كل لحظة، محتفظ في الوقت نفسه بصلة وثيقة مع الواقع. لكن إدغار موران يقول في هذه الحالة أن حالي الإسقاط والتوحيد الناجمتين عن التعرض للإعلام الجماهيري، وللتين تؤثران في الخيال الفردي، وتؤديان بالإنسان إلى أن يعيش بالتفويض حياة تحرمها عليه شروطه العادية، وأن يخوض تجارب هي في الواقع ليست تجاربه، وأن يرتدي ذاتاً افتراضية ليست ذاته، تحقق له ما يتوق إليه داخل نفسه، فتصبح الثقافة الجماهيرية أو ثقافة الوسائل مصدر تروية للخيال الجماعي ومصدر قوة اسقاطية وإبعادية، تخرج الإنسان من سياقات واقعه وتقذف به نحو حالة اغترابه كاملة. (67)

12- التفسير البرغماتي (النافع):

التفسير البرغماتي (النافع) يفود إلى تعميمات مبالغ بها، تعيق المعرفة العلمية، وكثيراً ما نلاحظ انتشار هذا التفسير في الفكر الما قبل علمي مثل القول أن زراعة القمح بعد موجة برد، يعطي مواسم أكثر أو قولنا إن الصواعق التي تزرع الرعب في أكثر الرجال جرأة تملأ الأرض الجرداء خصوبة وهكذا (68)

البرغماتية السياسية والاقتصادية مرتبطة بمصلحة القناة أو الوسيلة الإعلامية. ففي أغلب وسائل الإعلام في العصر الحديث، نجد أن البرغماتية هي عقيدة القائمين والعاملين في القناة وبشكل معلن فهي تلقن كيديهية حتى إنشاء التدريب، فإن مصلحة الوسيلة وتنفيذ أجندتها الإعلامية هي غاية الغايات، وذلك على حساب ميثاق الشرف الإعلامي

64 - باشلار، غاستون، إبستمولوجيا، نصوص مختارة، ت: درويش الحلوجي، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1، 1998، ص 238-239.

65 - المرجع السابق، ص 122.

66 - المرجع السابق، ص 123.

67 - مهنا، فريال، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، دار الفكر دمشق، 1، 2002، ص 37-38.

68 - المرجع السابق، ص 209.

ومبدأ الشفافية وما إلى ذلك. ومن هنا نجد أن القائم على العملية الإعلامية أو صانع المحتوى الإعلامي يضع مصلحة هذه الوسيلة فوق الجميع ويكاد يكون هذا العائق المعرفي هو العائق الأول والأكبر في عملية صناعة المحتوى الإعلامي.

جميع العوائق أو العقبات الاستمولوجية السابقة، إنما هي عوائق معرفية تكمن في صلب العمل العلمي في مختلف فروعها. وتطبيق هذه العوائق على الفكر العلمي لعملية الصناعة الإعلامية، إنما ينبه ويلفت النظر إلى ما يعيق وصول الأبحاث الإعلامية اليومية، إلى أن تصبح أبحاث علمية موضوعية دقيقة، تسهم في تقدم البشرية ورفيها على أتم وجه.

الخاتمة:

مما سبق ذكره يتضح لنا أن الاستمولوجيا ترتبط بالكثير من العلوم والمعارف، ومن بينها علم الإعلام، والذي أصبح موضوع بحث مميز للاستمولوجيا. حيث استطاعت الاستمولوجيا أن تقدم للإعلام منهج بحث متكامل من خلال العقبات الاستمولوجية التي أسسها غاستون باشلار والتي ترد في كافة العلوم، فلا يمكن لأي علم أن يتطور إلا من خلال تجاوزه هذه العوائق والعقبات. والتي تم ذكرها في سياق البحث.

لذلك نرى أن الإعلام كعلم حديث ومتطور من خلال تطور مناهجه وتجديد معلوماته، تعترضه الكثير من العقبات، التي تحول دون تطور التطور الكافي، أي أن تطور يكمن في تجاوز عقباته المعرفية الكامنة في المحتوى الإعلامي لأي رسالة أو عمل إعلامي.

المراجع

- 1- إبراهيم عبد الرزاق، انتصار وآخرون، الإعلام الجديد، منشورات جامعة بغداد، 2011.
- 2- أبو إصبع، خليل، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، دار المجدلاوي، ط5، 2006.
- 3- آسا برغر، آرثر، وسائل الإعلام والمجتمع، وجهة نظر نقدية، ت: صالح خليل أبو إصبع، سلسلة عالم المعرفة، ال عدد386، الكويت، 2012.
- 4- باشلار، غاستون، أبستمولوجيا، نصوص مختارة، ت: درويش الحلوجي، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط1، 1998.
- 5- باشلار، غاستون: تكوين العقل العلمي، ت خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1982.
- 6- البطريق، أحمد نسمة، الإعلام والمجتمع في عصر العولمة دراسة في المتصل الاجتماعي، دار غريب، القاهرة، 2004.
- 7- حسن كامل، محمد، مبادئ علم الاتصال ونظريات التأثير، الدار العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2003.
- 8- دليلو، فضيل، الاتصال، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2003.
- 9- رزوق، إبراهيم، أبستمولوجيا العلوم الاجتماعية، مديرية الكتب والمطبوعات في جامعة تشرين، اللاذقية، 2011-2012.
- 10- رزوق، إبراهيم، أبستمولوجيا العلوم الطبيعية ومناهجها الأساسية، مديرية الكتب والمطبوعات جامعة تشرين، 2005-2006م.

- 11-رشتي، أحمد جيهان، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي، مصر، 1978.
- 12-سليمان، عصام، الإعلام والمجتمع دراسات في الإعلام الأردني العربي والدولي، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، 2003.
- 13-شكري، عبد المجيد، الإعلام المحلي في ضوء متغيرات العصر، دار الفكر، القاهرة، ط1، 2007.
- 14-22-شعبي، عماد، الخيال ونقد العلم عند غاستون باشلار، دار طلاس، دمشق، ط1، 1999.
- 15-عبد النبي، عبد الفتاح، تكنولوجيا الاتصال والثقافة بين النظرية والتطبيق، العربي للنشر، القاهرة، 1990.
- 16-العيسوي، محمد عبد الرحمن، علم النفس الإعلامي، دار الراتب الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1984.
- 17-كركي، علي حسين، الاستمولوجيا في ميدان المعرفة، شبكة المعارف، بيروت، 2010.
- 18-المتوكل، محمد عبد الملك، مدخل إلى علم الإعلام والرأي، منشورات جامعة صنعاء، ط2، 2005.
- 19-مخول، مالك سليمان، علم نفس الطفولة والمرافقة، منشورات جامعة دمشق، ط8، 2003-2002.
- 20-محمد، عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، عالم الكتب، ط1، 2000.
- 21-المصمودي، مصطفى، النظام الإعلامي الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 94، 1985.
- 22-مكاوي، حسن، ليلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2009.
- 23-مهنا، فريال، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، دار الفكر دمشق، ط1، 2002.
- 24-مهنا، فريال، تقنيات الإقناع في الإعلام الجماهيري، دار طلاس، دمشق، ط1، 1989.
- 25-مهنا، فريال، جدلية المضمون والشكل في الخطاب الإعلامي العربي، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية والتربوية، المجلد 16، العدد الأول، 2000.
- 26-هشام، محمد، تكوين مفهوم الممارسة الإستمولوجية عند غاستون باشلار، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006.
- 27-الهيثي، هادي نعمان، الاتصال الجماهيري المنظور الجديد، دار الشؤون الثقافية، ط1، 2006.
- 28-وقيدي، محمد، فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، دار الطليعة، بيروت، 1980.
- 29-وقيدي، محمد، ماهي الاستمولوجيا، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1983.
- 30-ديظير، ملفين ل، وآخرون، نظريات وسائل الإعلام، ت: كمال عبد الرؤوف، الدار الدولية للتوزيع والنشر، ط1، 1993.

المراجع الأجنبية

- 1- (WWW.dectionary.com/brows/Media.29/1/2018)
- 2-http://WWW.Skillsyouneed. com.15/1/2017)
- 3-http://www.j387 mediahistory.weebly.com/mediahistory 2018/1/29
- 4-(http://en.m.wikipedia.org/wikipedia.mass media 5/1/2018